198 - ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا ا عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وإن كنتم من قبله لمن الضالين .

روى البخاري عن ابن عباس قال : كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقا في الجاهلية فتأثموا أن يتجروا في الموسم فنزلت : { ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم } (رواه البخاري عن ابن عباس) في مواسم الحج ولبعضهم : فلما جاء الإسلام تأثموا أن يتجروا فسألوا رسول ا صلى ا عليه وسلّم عن ذلك فأنزل ا هذه الآية . وروى أبو داود عن ابن عباس قال : كانوا يتقون البيوع والتجارة في الموسم والحج يقولون أيام ذكر فأنزل ا : { ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم } . وقال ابن جرير : سمعت ابن عمر سئل عن الرجل يحج ومعه تجارة فقرأ ابن عمر : { ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم } وهذا موقوف وهو قوي جيد وقد روي مرفوعا . عن أبي أمامة التيمي قال قلت لابن عمر : إنا نكري فهل لنا من حج ؟ قال : أليس تطوفون بالبيت وتأتون المعرف ؟ ؟ وترمون الجمار وتحلقون رؤوسكم ؟ قال قلنا : بلى فقلنا ابن عمر : جاء رجل إلى النبي صلى ا عليه وسلّم فسأله عن الذي سألتني فلم يجبه حتى نزل عليه جبريل بهذه الآية : { ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم } فدعاه النبي صلى ا عليه وسلّم فقال : " أنتم حجاج " (رواه أحمد عن أبي أمامة التيمي " وعن أبي صالح مولى عمر قال قلت : يا أمير المؤمنين كنتم تتجرون في الحج ؟ قال : وهل كانت معايشهم إلا في الحج ؟ .

وقوله تعالى : { فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا ا عند المشعر الحرام } إنما صرف عرفات - وإن كان علما على مؤنث - لأنه في الأصل جمع كمسلمات ومؤمنات سمي به بقعة معينة فروعي فيه الأصل فصرف اختاره ابن جرير وعرفة موضع الوقوف في الحج وهي عمدة أفعال الحج ولهذا روي عن عبد الرحمن بن يعمر الديلي قال : سمعت رسول ا صلى ا عليه وسلّم يقول : " الحج عرفات - ثلاثا - فمن أدرك عرفة قبل أن يطلع الفجر فقد أدرك وأيام منى ثلاثة فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه " (رواه أحمد وأصحاب السنن بإسناد صحيح) ووقت الوقوف من الزوال يوم عرفة إلى طلوع الفجر الثاني من يوم النحر لأن النبي صلى ا عليه وسلّم وقف في حجة الوداع بعد أن صلى الظهر إلى أن غربت الشمس وقال : " لتأخذوا عني مناسككم " وقال في هذا الحديث : " فمن أدرك عرفة قبل أن يطلع الفجر فقد أدرك " وهذا مذهب مالك وأبي حنيفة والشافعي رحمهم ا وذهب الإمام أحمد إلى أن وقت الوقوف من أول يوم عرفة واحتج بحديث الشعبي عن عروة بن مضرس الطائي قال : أتيت رسول ا صلى ا

عليه وسلّم بالمزدلفة حين خرج إلى الصلاة فقلت : يا رسول ا : إني جئت من جبل طيء أكللت راحلتي وأتعبت نفسي وا ما تركت من جبل إلى وقفت عليه فهل لي من حج ؟ فقال رسول ا صلى ا عليه وسلّم : " من شهد صلاتنا هذه فوقف معنا حتى ندفع وقد وقف بعرفة قبل ذلك ليلا أو نهارا فقد تم حجه وقضى تفثه " (رواه أحمد وأصحاب السنن وصححه الترمذي) .

وتسمى عرفات (المشعر الحرام) والمشعر الأقصى و (إلال) على وزن هلال ويقال للجبل في وسطها جبل الرحمة قال أبو طالب في قصيدته المشهورة : .

وبالمشعر الأقصى إذا قصدوا له ... إلال إلى تلك الشراج القوابل .

عن ابن عباس قال : كان أهل الجاهلية يقفون بعرفة حتى إذا كانت الشمس على رؤوس الجبال كأنها العمائم على رؤوس الرجال دفعوا فأخر رسول ا صلى ا عليه وسلّم الدفعة من عرفة حتى غربت الشمس . وفي حديث (جابر بن عبد ا) الطويل الذي في صحيح مسلم قال فيه : (فلم يزل واقفا يعني بعرفة حتى غربت الشمس وبدت الصفرة قليلا حتى غاب القرص وأردف أسامة خلفه ودفع رسول ا صلى ا عليه وسلّم وقد شنق للقصواء الزمام حتى إن رأسها ليصيب مورك رحله ويقول بيده اليمنى : " أيها الناس السكينة السكينة " كلما أتى جبلا من الجبال أرخى لها قليلا حتى تصعد حتى أتى المزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء بأذان واحد وإقامتين ولم يسبح بينهما (ولم يسبح بينهما : المراد به لم يتنقل أثناء الجمع بين الفريقين) شيئا ثم اضطجع حتى طلع الفجر فصلى الفجر حين تبين له الصبح بأذان وإقامة ثم ركب القصواء حتى أتى المشعر الحرام فاستقبل القبلة فدعا ا وكبره وه ووحده فلم يزل واقفا حتى أسفر جدا فدفع قبل أن تطلع الشمس " . وفي الصحيحين عن أسامة ابن زيد أنه سئل كيف كان يسير رسول ا صلى ا عليه وسلّم حين دفع ؟ قال : كان يسير العنق فإذا وجد فجوة نص والعنق هو انبساط السير والنص فوقه . قال ابن عمر : المشعر الحرام المزدلفة كلها وعنه أنه سئل عن قوله : { فاذكروا ا عند المشعر الحرام } فقال : هذا الجبل وما حوله . وروي عن ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن وقتادة أنه قالوا : هو ما بين الجبلين وقال ابن جرير : قلت لعطاء : أين المزدلفة ؟ قال : إذا أفضت من مأزمي عرفة فذلك إلى محسر قال : وليس المأزمان مأزما عرفة من المزدلفة ولكن مفضاهما قال : فقف بينهما إن شئت قال : وأحب أن تقف دون قزح هلم إلينا من أجل طريق الناس . (قلت) : والمشاعر هي المعالم الظاهرة وإنما سميت المزدلفة المشعر الحرام لأنها داخل الحرم وعن زيد بن أسلم : أن رسول ا صلى ا عليه وسلّم قال : " عرفة كلها موقف وارفعوا عن عرفة وجمع كلها موقف إلا محسرا " هذا حديث مرسل وقد قال الإمام أحمد عن جبير بن مطعم عن النبي صلى ا عليه وسلّم قال : " كل عرفات موقف وارفعوا عن عرفات وكل مزدلفة موقف وارفعوا عن محسر وكل فجاج مكة منحر وكل أيام التشريق ذبح " (الحديث رواه أحمد وإسناده منقطع) .

وقوله تعالى : { واذكروه كما هداكم } تنبيه لهم على ما أنعم ا به عليهم من الهداية والبيان والإرشاد إلى مشاعر الحج على ما كان عليه من الهداية لإبراهيم الخليل عليه السلام ولهذا قال : { وإن كنتم من قبله لمن الضالين } قيل : من قبل هذا الهدى وقيل : القرآن وقيل : الرسول والكل متقارب ومتلازم وصحيح